مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

موقف الباب العالي من النشاط الصليبي لفرسان القديس يوحنا تجاه تونس وطرابلس 1559–1565م على ضوء المراسلات العثمانية

The position of the Sublime Porte on the Crusader activity of the Knights of Saint John towards Tunis and Tripoli 1559-1565 AD through the Ottoman correspondence

سالم جوامع[1*]

[1]جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان– الجزائر

salem.djouama@univ-tlemcen.dz

أ.د/ عبد الحق زريوح [2]

[2]جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان، –الجزائر

zerriouh2012@gmail.com

[2 1] مخبر جمع وتوثيق الشعر الشعبي الجزائري من العهد العثماني حتى القرن العشرين

جامعة أبو بكر بلقايد–تلمسان–الجزائر

تاريخ الإرسال: 2022 /01/10 تاريخ القبول 2022/02/22

ملخص:

لعبت الحركات الدينية دورا كبيرا في الحياة السياسية والعسكرية غربَ البحر المتوسط، إذ أنها ساهمت بشكل كبير في الصراع الجيوسياسي والحضاري الذي ظهر خلال العصر الحديث بين العالم الإسلامي العثماني والغرب المسيحي الأوروبي، ولقد كان فرسان القديس يوحنا من أبرز التنظيمات الدينية الصليبية التي شاركت في هذا الصراع خلال القرن 16م.

ومنه فإننا نهدف في هذا الدراسة إلى البحث في موقف الباب العالي من التهديدات الصليبية لفرسان القديس يوحنا المتوالية على كل من تونس وطرابلس في منتصف القرن 16م، حيث سنسلط الضوء من خلالها على موقف الدولة العثمانية –انطلاقا من مراسلاتها لحكام الإيالات المغاربية– بخصوص الحملات الصليبية لفرسان القديس يوحنا المدعومين من الإسبان على إيالتي تونس وطرابلس، وكذا على الدور السياسي والعسكري الذي لعبه الباب العالي في تأمين وحفظ إيالاته المغاربية من الهجمات والحملات العسكرية المسيحية الأوروبية بشكل عام وفي وجه فرسان القديس يوحنا على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: الباب العالي؛ فرسان القديس يوحنا؛ النشاط الصليبي؛ تونس وطرابلس؛ القرن 16م

* **المؤلف المرسل:** سالم جوامع، **الايميل:** salem.djouama@univ-tlemcen.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract :

Religious movements played a major role in the political and military life of the western Mediterranean, as they contributed greatly to the geopolitical and civilizational conflict that emerged during the modern era between the Ottoman Islamic world and the European Christian West. The Knights of St. John was one of the most prominent Crusader religious organizations that participated in this conflict. During the 16th century AD.

Hence, we will aim in this study to examine the position of the Sublime Porte on the successive crusade threats of the Knights of Saint John on Tunisia and Tripoli in the middle of the 16th century AD. Saint John who was supported by the Spaniards on the provinces of Tunis and Tripoli, as well as on the political and military role that the Sublime Porte played in securing and preserving its Maghreb provinces from European Christian attacks and military campaigns in general and against the Knights of Saint John in particular.

Keywords : the Sublime Porte; Knights of Saint John; the Crusader activity; Tunisia and Tripoli; the 16th century

مقدمة:

بعد تأسيس الحكم العثماني في البلاد المغاربية استمر اهتمام الباب العالي بأوضاع إيالاتها في بلاد المغارب، إذ أن السلطة العثمانية لم تتوان مطلقا عن صد أي عدوان خارجي على إيالاتها المغاربية، بل وفي تتبع تحركات الأعداء الأوروبيين والاستخبار عن حملاتهم ومشاريعهم العسكرية ضد الإيالات العثمانية المغاربية، إذ أن القوى الأوروبية ونظرا للقيمة الجيوسياسية الكبيرة للأقاليم المغاربية لم تتوقف عن محاولات استردادها من الدولة العثمانية وهو ما تم من خلال العديد من الحملات والغزوات العسكرية البحرية على الإيالات المغاربية العثمانية.

وانطلاقا من أن التاريخ السياسي محور هام من محاور الأنثروبولوجيا السياسية و التي هي فرع آخر من فروع الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة النظم السياسية عبر النظر إليها كجزء من أسس المجتمعات وتتبع تطورها ومختلف الأشكال التي اتخذتها عبر التاريخ أو خلال فترة زمنية معينة ومفتشة عن الخصائص المشتركة لكل الأنظمة السياسية المعروفة بتنوعها التاريخي والجغرافي (بالانديه، 2007، صفحة 15) فإننا سنقوم بدراسة موقف الدولة العثمانية من نشاط منظمة فرسان القديس يوحنا –انطلاقا من كونها مجتمع ديني سياسي–

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

على كل من تونس وطرابلس خلال منتصف القرن 16م، وذلك انطلاقا من المراسلات التي كان يبعث بها الباب العالي لحكام الإيالات المغاربية للوقوف أمام تهديدات هذه المنظمة وحفظ الإيالات المغاربية.

هذا؛ وتتشمل إشكالية الدراسة في: كيف بدأت، وفيما تمثلت تهديدات فرسان القديس يوحنا على إيالتي تونس وطرابلس، ماهي استراتيجية الباب العالي في الرد على فرسان القديس يوحنا وحفظ الإيالات المغاربية، وأخيرا؛ إلى أي مدى كان الباب العالي-من خلال مراسلاته- حريصاً على كف الهجمات الصليبية وحفظ سلامة وأمن الإيالات المغاربية.

ويتمثل الغرض من هذا البحث في الكشف عن علاقة الباب العالي وموقفه من فرسان القديس يوحنا كنظام اجتماعي سياسي-ديني وتسليط الضوء على أهم الخطوات والاستراتيجيات التي اتبعتها الدولة العثمانية لردع تهديدات هذه المنظمة وحفظ إيالاتها من هجماتها المتكررة، وقد اعتمدنا من أجل الإجابة على إشكالية الدراسة المنهج الأنثروبولوجي الذي يقوم على وصف الواقع كما هو مستنتجا الدلالات والبراهين من وقائع مشاهدة أو موثقة بغية تتبع الأحداث التاريخية ووصف العلاقة بين الطرفين بدقة، وفي المقابل فإن توظيف المنهج التاريخي في الدراسات الأنثروبولوجية لا يعد انحرافا عن المسار المعرفي للأنثروبولوجيا (أوراعي، 2012، صفحة 220)، كما اعتمدنا المنهج التحليلي لتحليل الروايات التاريخية من وثائق أرشيفية ومصادر من أجل الخروج بقراءة تخدم الموضوع.

أولا:استقرار فرسان مالطا في طرابلس 1530-1551م:

استمر حكم الإسبان لمدينة طرابلس منذ احتلالها سنة 1510م إلى غاية سنة 1530م حيث تنازلت الحكومة الإسبانية على المدينة لفرسان القديس يوحنا (فرسان مالطا) الذين استمروا في احتلال المدينة حتى الفتح العثماني لها سنة 1551م.

كانت جزيرة رودس مقرا لمنظمة فرسان القديس يوحنا إلى غاية سنة 1522م حين فتحت القوات العثمانية الجزيرة وطردت منها هذه المنظمة (بول، 1993، صفحة 91) التي طلبت –بعد طردها من رودس- من ملك إسبانيا شارل الخامس عن طريق مرشدها الأكبر في أكتوبر 1523م جزيرة مالطا في البحر المتوسط لمزاولة نشاطها الحربي الصليبي ضد العالم الإسلامي. (روسي، 1969، صفحة 50)

وافق الملك شارلكان على طلبهم (اسماعيل، 1966، صفحة 20) هذا وقام بمنحم جزيرة مالطا في البحر المتوسط كي يتخذوها مركزا جديدا لهم، كما اشترط الملك أن تتولى المنظمة مهمة الدفاع عن مدينة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طرابلس وكان ذلك من خلال المرسوم الذي وقعه شارلكان سنة 1530م والذي تنازل بموجبه عن جزيرة مالطا لفرسان القديس يوحنا وولاهم كذلك حكم المستعمرة الإسبانية طرابلس، وقد جاء في هذا المرسوم مايلي:" قد وهبنا القصر والأماكن وجزائرنا في طرابلس ومالطا وقوزو إلى منظمة فرسان القديس يوحنا، لحياء هذه المنظمة واستقرارها وهي هبة خالصة عن رضا منا.." (اسماعيل، 1966، صفحة 20)، وقد عبرت المنظمة عن امتنانها الشديد للملك شارلكان عن هذا التنازل وقد عبر قائدها عن ذلك في رسالة إلى الملك الإسباني جاء فيها:" و بما أن جلالتكم القيصرية عندما طلب منكم التنازل عن هاتين الجزيرتين طلبتم أن نقبل معها مدينة طرابلس بكل ما يتبعها فإننا قبلنا هذا رغم ضعف قوى المنظمة رغبة منا في خدمة جلالتكم القيصرية، وفي الوقن نفسه نأمل أن تكونوا لنا سندا وعونا حيثما لا تكفي قوانا في خدمة الله للاحتفاظ بتلك الأماكن وحماية المنظمة نفسها.." (الباروني، 1952، صفحة 85)، ومن خلال هذا النص نجد أن فرسان القديس يوحنا ورغم إقرارهم بصعوبة المهمة المسندة إليهم إلا أن حاجتهم للتمركز في مالطا بعد طردهم من رودس جعلتهم يقبلون استلام حكم طرابلس.

وهكذا استقر فرسان مالطا في جزيرة مالطا وتولوا حكم مدينة طرابلس نيابة عن الإسبان واستقروا بها رسميا في 25جويلية 1530م بقيادة القس غاسبار دي سانغوزا Gaspare di Sanguessa. (عبيد، 2015، صفحة 322)

ثانيا: الفتح العثماني لطرابلس وطرد فرسان القديس يوحنا:

كانت الدولة العثمانية ترى في إخضاع طرابلس خطوة استراتيجية كبيرة لبسط نفوذها في غرب البحر المتوسط خاصة بعدما تمكن العثمانيون من ضم الجزائر وجعلها مركزا للحكم العثماني في المنطقة.

يُضفي ابن غلبون –وهو من المصادر التاريخية المحلية– على رواية ضم طرابلس للحكم العثماني نوعا من الصدفة التاريخية، إذ يذكر أن أهالي المدينة وقائدها مراد آغا قد طلبوا من الأسطول العثماني المتجه إلى تونس أن يساعدهم في تحرير المدينة من فرسان مالطا وأن قائد الأسطول قد رفض ذلك بحجة أنه ليست لديه أوامر سلطانية للقيام بذلك " فهونوا عليه أمرها وصغروها بين يديه فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يعطوه حجة على أن لا يكون عليه درك من السلطان لمخالفته أمره وأنهم المؤاخذون بذلك فأعطوه بذلك حجة وحاصروها برا وبحرا فأخذوها.." (غلبون، 1934، صفحة 94)، غير أن المؤرخ إيتوري روسي يفند هذا الكلام ويقول بأن الحملة على طرابلس كانت مجهزة ومدبرة من القسطنطينية. (روسي، 1969)، ويبدو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أن هذا الأخير محق في تحليله، إذ أن هناك مصـــدر تاريخي آخر يؤيد الطرح الذي جاء به، حيث يذكر صـــاحب كتاب المنهل العذب أن مراد آغا هو من طلب المدد من الســـلطان العثماني لمحاصـــرة طرابلس وتحريرها إذ جاء عنه:".. وفي سـنة 957هـ (1550م) اِلتمس (مراد آغا) المدد، ثم أسـس طابية (حامية) صـغيرة بين طرابلس وتاجوراء للمدافعة وأرسـل العمال وأمن السـبل وبسـط في الناس العدل...وفي سـنة 958هـ(1551م) جاء الأسطول العثماني إلى طرابلس بمعية طرغود فاستولى عليها.." (الأنصاري، د.ت، صفحة 188)، وهذا كربخال يقول في هذا الصدد أنه في سنة 1551م جهز السلطان سليمان أسطولاً بقيادة سـنان باشـا وصـالح ريس وطرغود ريس، وبعدما قام الأسـطول بالهجوم على صـقلية والشـواطئ الإيطالية توجه إلى طرابلس (كربخال، 1984، صـفحة 124)، ومن هاتين الروايتين يتضـح لنا جليا أن الأسـطول قد خرج من القسـطنطينية قاصـدا تحرير طرابلس ولم يكن ذلك عن طريق الصـدفة كما في رواية ابن غلبون.

وصـل الأسـطول العثماني المتكون من حوالي مائة وخمسـين سـفينة وعشـرة آلاف جندي (إيفانوف، 1988، صـفحة 225) قبالة مدينة طرابلس يوم 4 أوت 1551م وقد طالب سـنان باشـا من حاكم المدينة فالبير Gaspare di Vallier الاستسلام غير أن الأخير رفض ذلك (عبيد، 2015، صفحة 334)، ومع رفض فرسـان مالطا الاسـتسـلام قرر سـنان باشـا مباشـرة الهجوم على طرابلس براً بينما تولى طرغود ريس قصـــف المدينة من البحر وقد بدأت القوات العثمانية الهجوم يوم 8 أوت واســـتمرت في حصـارها وقصـفها للمدينة إلى غاية 14 أوت أين تمكنت القوات العثمانية من فتح القلعة وفتحت المدينة أمام القوات العثمانية بعدما اتفقوا مع فرسان مالطا على شروط الاستسلام. (الويشي، 2017، صفحة 140)

كان فرسـان مالطا قد جعلوا شـرطا لهم للاسـتسـلام حِفظ أرواحهم والسـماح لهم بمغادرة طرابلس إلى مالطا بسـلاحهم وذخيرتهم (غلبون، 1934، صـفحة 94) وهو ما وافقه عليهم سـنان باشـا بعد وسـاطة من دارامون Daramont السـفير الفرنسـي لدى الباب العالي (إيفانوف، 1988، صـفحة 226)، ويقول كرفخال أن الأتراك وفوا بعهدهم لفرسـان مالطا حيث أنهم لم يمسـوهم بأذى وعاملوهم بالحسـنى ونقلوهم على سفن الأتراك إلى مالطا. (كربخال، 1984، صفحة 125)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثالثا:محاولة فرسان القديس يوحنا استعادة طرابلس (معركة جربة 1560م):

1: نشاط فرسان القديس يوحنا على سواحل طرابلس وتونس:

بدأ الفرسان منذ طردهم من طرابلس بتنظيم أسطول جريء في مالطا وظلوا يضايقون سواحل البلدان المغاربية وبالخصوص طرابلس وتونس بحكم قربهما من الجزيرة، كما كانوا أيضا يقومون بقطع سبل التواصل بين القسطنطينية و الجزر الخاضعة لها في بحر إيجة (روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، 1991، صفحة 229)، فضلا عن أن جزيرة مالطا كانت تسد الطريق بين عاصمة الدولة العثمانية و الإيالات المغاربية كما شكلت تهديدا مستمرا للمراكز العثمانية في شمال أفريقيا (Defontin, 1930, p. 76)، إضافة إلى أن فرسان مالطا كانوا يقطعون الطريق على قوافل الحجيج البحرية (فكاير، 2016، صفحة 340)، ولم يكتف فرسان مالطا بمضايقة سفن الدولة العثمانية وإيالاتها بل كانوا كذلك يقومون بغزو سواحل البلاد التونسية وإيالة طرابلس، ففي شهر أوت من سنة 1552م غزا فرسان مالطا مدينة زوارة التابعة لإيالة طرابلس، وقد استطاعت هذه الغزوة أن تحدث الكثير من الضرر في المدينة ناهيك عن قيامها بأسر ألف وخمسمائة من أهلها قبل أن يتمكن مراد آغا من إجهاض الحملة التي انتهت بخسائر فادحة في صفوف المالطيين. (روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، 1991، صفحة 217)

في سنة 1557م حاول ملك إسبانيا فيليب الثاني التقرب من حاكم طرابلس الجديد طرغود باشا وذلك حينما بعث له برسالة مؤرخة في 2جويلية 1557م جاء فيها:" أخبرني البعض بحسن نيتك ومحبتك لجنابي السلطاني، ولا يسعني إلا أن أشكرك إزاء ذلك، وإذا كنت في وضع يسمح لك بخدمتي فسأكون سعيدا جدا، إن الظروف والمناسبات لن تجعلك تفشل في ذلك وسيكون كل شيء في صالحك كما سيخبرك أو يكتب لك الأخ نيكولا.."(Primaudaie, 1877, p. 288) غير أن محاولة استمالة طرغود باشا لم تكلل بالنجاح نظرا لاستمرار تعدي فرسان مالطا على سواحل إيالة طرابلس والمناطق المجاورة لها.

وعلى غرار تهديدات فرسان مالطا المتكررة لسواحل إيالة طرابلس وجزر البلاد التونسية وتهديد مصالحها ومصالح الدولة العثمانية في غرب المتوسط كما تقدم، قرر فرسان مالطا تجهيز حملة لاستعادة طرابلس، فنظرا لمكانتها الاستراتيجية في البحر المتوسط، أوعز فرسان مالطا لملك إسبانيا بضرورة استعادة هذه المدينة التي انضمت مؤخرا للحكم العثماني، فقرر ملك إسبانيا فيليب الثاني تجهيز حملة عسكرية لاسترداد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طرابلس وطرد العثمانيين منها، وقد رحبت الإمارات الجنوبية لإيطاليا بهذه الخطوة وأعلنوا استعدادهم للمشاركة في هذه الحملة (منفروني، 1988، صفحة 89)، كما كان التنافر الحاصل بين طرغود باشا والزعامات المحلية في الجنوب الشرقي التونسي من الدوافع الأخرى التي حركت فرسان مالطا للقيام بهذه الحملة، إذ يذكر حاجي خليفة في كتابه "تحفة الكبار في أسفار البحار" أنه كان:".. بين طرغود باشا وأمراء العرب حرب وصراع، وأن أمراء العرب ومشايخهم يميلون إلى الفرنجة وأنهم يريدون أن يضربوا الدولة العثمانية وأن يسيؤوا إليها.." (خليفة، 2017، صفحة 138) وقد كان هذا العامل من العوامل الأخرى التي أراد فرسان مالطا استغلالها لاسترداد طرابلس وسواحل البلاد التونسية في آن واحد.

كلف فيليب الثاني ملك إسبانيا القائد دون دي مدينا تشيلي نائب ملك صقلية بقيادة الحملة والإعداد لها، فقام بتجهيز أسطول قوامه أربع وخمسون سفينة من نوع قاليرا وغليوطة وثماني وعشرين قطعة بحرية كبيرة أخرى وضع على رأسها القائد الجنوي الشهير أندري دوريا، فيما تولى دون ألفارو دي ساندي قيادة الجيش البري، وقد كان عدد الجنود المشاركين في هذه الحملة حوالي إثني عشر ألف جندي من نابولي وصقلية وفلورنسا إضافة إلى قوات البابا وجنود من ألمانيا وإسبانيا (روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، 1991، صفحة 223).

2: تحرك الدولة العثمانية لمواجهة فرسان القديس يوحنا:

في الوقت الذي كان الإسبان يُعدون فيه العُدة للحملة على طرابلس وصلت أخبار هذه الحملة إلى الباب العالي، حيث يذكر حاجي خليفة أن القبودان بيالة باشا وكذا حاكم طرابلس طرغود باشا قد قاما بإبلاغ القسطنطينية بتحركات فرسان مالطا مما جعل الأخيرت تقوم فورا بإصدار أوامرها لحكام إيالاتها المغربية بضرورة اتخاذ الاحتياطات والاستعدادات اللازمة لمجابهتها (خليفة، 2017، صفحة 138)، وهو ما يظهر كذلك من خلال رسالة موجهة إلى بايلرباي الجزائر بتاريخ شوال 966هـ/21جويلية 1559م جاء فيها:

"حُكم إلى بكلربكي الجزائر

أرسلتَ رسالة إلى سعادتي تبلغ فيها أن رئيس البحر المدعو خوجة علي وهو من رؤساء الكونوللية جلب جاسوسا مهما أبلغ عند السؤال عن أوضاع الكفار المذلين أنه توجد للإسبان المهزومين في مسينة إثنان وثمانون سفينة من نوع قاردغة وعشر سفن من نوع غاليطة ومن المزمع وصول أربعين قطعة من سفن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الفرنجة للانضمام إليها..ومن المزمع أن توجه على طرغود بك..وبناء على كل ذلك فقد صدرت أحكام شريفة مثلما عرضت تقضي بأن يقوم كل من قبودان رودس السابق علي والقبودان الحالي أحمد بن علي قورد بالالتحاق بك على رأس سفنه وعلى وجه السرعة وأن يقوم قبودان مصر بحماية مضيق رودس، كما تم تدارك بعض السفن من سدة سعادتي وهي على وشك الإرسال إليك على وجه السرعة..وينبغي ألا تكون على الغفلة، بل تكون مجدا وغيورا في حفظ البلاد وحراستها، وتحول دون إلحاق الضرر والأذى من قبل الكفار الأذلاء بالأسطول السلطاني والقلاع والبقاع والنواحي والقرى وتكون على أتم البصيرة والانتباه.." (دفتري مهم 3، حكم 139، 15شوال 966هـ)، وكما راسل الباب العالي حاكم الجزائر حسن باشا حول هذه الغزرة المحتملة قام كذلك بإرسال خطاب إلى حاكم تونس بخصوص نفس الموضوع بتاريخ ربيع الأول 967هـ/ ديسمبر 1559م جاء فيه:

"حُكم إلى حاكم تونس

هذا مثالنا العالي الشريف السلطاني..أصدرناه إلى الجناب العالي الأميري..الحاكم يومئذ بولاية تونس أدام الله تعالى سعده وأنجح قصده..ثم الآن أيضا قد سمع بسدتنا السنية قصد الكفار المذكورين خذلهم الله وتوجه عزيمتهم غير الموجهة إلى تلك الديار لاجرم أمرنا لردهم وقمعهم ومقابلتهم ومقاتلتهم وقلعهم بتجهيز سفن مملوءة بالعساكر المنصورة والآلات والعدد..فمثالنا الشريف إليكم أنه إذا جاء الكفار إلى تلك الديار قبل قدوم مراكبنا المذكورة ووصولها لتلك الولاية حينئذ على ماهو مركوز في جبلتكم الحسنة..معاونة ومعاضدة أهالي الإسلام وأمر خير الأنام مجدين ومجتهدين في دفع مضرة أولئك الكفرة الفجرة..لئلا يقع والعياذ بالله من أولئك الكفار..خسارة لأهالي تلك الولاية المباركة..على أن قيامكم في هذا الأمر المهم وانتدابكم لذلك الفرد الملم إنما هو لله ولإعلاء كلمة الله ولدفع مكيدة أعداء الله وهذا هو مقصودنا الأعظم وسبيلنا الأقوم.." (بيات، 2010، صفحة 243)، ويبدو أن حاكم تونس آنذاك المولى أحمد بن محمد الحفصي قد رحب بالتعاون مع العثمانيين للوقوف في وجه هذه الحملة وهو ما يظهر من خلال ماجاء به ابن أبي دينار في كتابه المؤنس:"..ولما كان طرغوت باشا مُحارباً لجربة أرسل له السلطان أحمد المؤونة.." (أبودينار، 1965، صفحة 161)، وهو ما يؤكد استجابة السلطان الحفصي لنداء السلطان العثماني حول التعاون ضد فرسان مالطا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وبما أن إيالة طرابلس هي المستهدفة من هذه الحملة الإسبانية فقد بعث السلطان العثماني إلى حاكم طرابلس طرغود باشا يخبره فيه بأهمية إيالة طرابلس وبضرورة الحفاظ عليها من حملات الصليبيين وذلك في رسالة بتاريخ5ربيع الأول 967هـ/5ديسمبر 1559م جاء فيها:

" حُكم إلى بكلربكي طرابلس الغرب طرغود باشا

أرسلت رسالة إلى سدة سعادتي تبلغ فيها أنه بعد عودة أسطولنا السلطاني قام الكفار الأذلاء بإعداد العدة لتحشيد سفنهم وأنهم يعتزمون التوجه نحو الولاية المذكورة، وبناء عليه فإن إيالة طرابلس هي كسائر ممالكي المحروسة..ويُعد حفظها وحراستها بكل وجه من الوجوه والحيلولة دون إلحاقها بضرر أو أذى من أعداء الدين من أهم الأمور، ولهذا فقد تم مرة أخرى تجهيز مراكب بحرية لا حد لها لهذا الغرض..وعند تحقق تحركات الكفار المندحرين إلى تلك الأرجاء مثلما ذُكر، تتهيأ أنت بحسن التدبير والتجهيز..وتكون قلبا وقالبا مع قبائل الأعراب ومشايخ العربان وغيرهم من أهالي الولاية وبحسن الاتحاد والاتفاق معهم..وتحفظ ليلا ونهارا وبالوجه المناسب مدينة طرابلس والمناطق الواقعة في تلك السواحل وتحرسها، وتعمر القلاع المحتاجة إلى التعمير والترميم، ولا تتهاون في تجهيزها بالأسلحة والمعدات، وتحول بعناية الله تعالى دون إلحاق أعداء الدين والكفرة الملاعين الضرر والأذى بالبلاد والولاية والقلاع والبقاع والنواحي والقرى والرعايا والبرايا.." (بيات، 2010، صفحة 293)، ومن هنا يظهر جليا اهتمام الباب العالي وحرصه على أمن إيالاته المغاربية وسعيه إلى وقف أي تهديد صليبي ضدها، وفي هذه المراسلات كذلك نلحظ حرص الباب العالي على ضرورة التنسيق والتعاون بين الإيالات المغاربية فيما بينها، وكذا تأكيده على أن القوات العثمانية الهمايونية جاهزة دائما للالتحاق بالقوات العثمانية في الإيالات المغاربية لردع وقتال أي حملة صليبية على الإيالات المغاربية.

هذا؛ ولم يتوقف خطاب الباب العالي بخصوص هذه الحملة على الجهات الرسمية أي حكام الإيالات المغاربية، بل قام الباب العالي أيضا بإرسال خطاب إلى الأعيان والمشايخ والزعامات المحلية القبلية في طرابلس الغرب مؤرخ في 4 ربيع الأول 967هـ/4ديسمبر 1559م جاء فيه:

"هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني..أرسلناه إلى العلماء والفضلاء والفقهاء والخطباء والأئمة وجميع الرعايا بطرابلس الغرب..إذا جاء الكفار إلى تلك الديار قبل قدوم مراكبنا المذكورة وعساكرنا المؤيدة المنصورة إليكم..حينئذ على ماهو مقتضى شجاعتكم ومركوز في جبلتكم الحسنة وحسن إسلامكم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وغيرتكم وحميتكم لدين الإسلام مع أمير الأمراء وساير عساكر الإسلام..لسانكم واحد ووجهتكم واحدة بحيث لا يتمكن أحد من أولئك الكفار المخذولين لمضرة أحد من المسلمين.." (بيات، 2010، صفحة 296)، وفي هذا الخطاب نلحظ جيدا إدراك الباب العالي لأهمية العنصر المحلي وضرورة إشراكه في الصراع مع المسيحيين الأوروبيين، كما نجده يحثهم فيه على ضرورة الاتحاد مع القوات العثمانية وتوحيد جبهة المسلمين في الدفاع عن الأراضي الإسلامية ضد القوى الأوروبية الغازية.

ثالثا: معركة جربة 1560م ونتائجها:

اجتمعت الحملة المالطية-الإسبانية على طرابلس في جزيرة مالطا وغادرت الجزيرة في 10 فيفري 1560م واستقرت قبالة جزيرة جربة، ومنها تم الاتصال مع الزعماء المحليين المناهضين للوجود العثماني في الجزيرة وخاصة زعماء قبيلة المحاميد الذين أبدوا تأييدهم للحملة الإسبانية على طرابلس، ومن قبالة جزيرة جربة زحفت القوات الإسبانية باتجاه طرابلس ونزلت في سواحل مدينة زوارة، وبمساعدة القبائل المحلية المناهضة لطرغود باشا والعثمانيين وصلت القوات الإسبانية قبالة مدينة طرابلس، غير أن وقوف قائد الحملة دون مدينا تشيلي على تجهيزات المدينة وتحكيماتها الجيدة جعلته يضطر للانسحاب إلى جزيرة جربة مرة أخرى. (إيفانوف، 1988، صفحة 227)، وفي 7مارس نزلت القوات المالطية -الإسبانية بجزيرة جربة واستطاعت بعد مناوشات مع بعض الفرق المحلية والعثمانية هناك السيطرة على حصن الجزيرة والاستقرار فيه (منفروني، 1988، صفحة 60).

في 10 ماي 1560م وصل الأسطول العثماني إلى جربة تحت قيادة القبودان بياله باشا، وفي معركة قصيرة استطاع الأسطول العثماني أن يهزم القوات المالطية-الإسبانية التي اضطر قسم كبير منها إلى الفرار إلى صقلية في الوقت الذي غرقت فيه العديد من القطع البحرية أو وقعت في أسر القوات العثمانية، أما قائد القوات البرية ألفارو دي ساندي فقد بقي مُحاصَرا في حصن الجزيرة ينتظر وصول الدعم من صقلية ومالطا إلى غاية 29 جويلية حيث وقع في أسر القوات العثمانية واضطرت الحامية المالطية-الإسبانية في جزيرة جربة للاستسلام بعد تأكد الهزيمة. (روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، 1991، صفحة 224)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

رابعا:الحصار العثماني لجزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا 1565م:

1: الأهمية الاستراتيجية لجزيرة مالطا:

حتى بعد هزيمتهم في جربة سنة 1560م لم يتوقف فرسان مالطا عن تهديد إيالة طرابلس، حيث قاموا سنة 1561م بغزو مدينة مصراتة وقاموا بنهبها وأسر ما يقارب خمسا وستين أسيرا أغلبهم من النساء والأطفال، هذا؛ إضافة إلى عمليات الإغارة على السفن التجارية العثمانية وتهديد مبادلاتها الاقتصادية، ففي ربيع عام 1564م استولى فرسان مالطا على سفينة تابعة لحكومة طرابلس وسفينتين للشحن مرسلتان من من اسطنبول إلى طرغود باشا حاكم طرابلس، وفي جوان من نفس العام هاجم فرسان مالطا في البحر الأدرياتيكي سفينة عثمانية كبيرة كانت متوجهة إلى ميناء البندقية، بل أن قرصنة فرسان مالطا طالت حتى إحدى السفن الحاملة لأغراض منقولة إلى قصر السلطان العثماني وهو ما اعتبره الأخير إهانه لشخصه ولعائلته. (كريسي، 2019، صفحة 182)

وعلى العموم، وحسب المؤرخ الإيطالي إيتوري روسي؛ فإن أسباب الصراع بين العثمانيين وفرسان مالطا لا يمكن حصرها نظرا لحالة الحرب الدائمة بين الطرفين والتي جعلت حكام إيالتي الجزائر وطرابلس الغرب على الخصوص يهتمون أشد الاهتمام بفرسان مالطا وتهديداتهم المستمرة على الإيالات العثمانية وعلى النفوذ العثماني في غرب المتوسط. (روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، 1991، صفحة 229)

كانت هذه التهديدات التي يقوم بها فرسان مالطا على المصالح الاقتصادية وكذا الاستراتيجية للعثمانيين من أسباب إصرار سليمان القانوني على تنظيم حملة للإستيلاء على الجزيرة، هذا؛ ويذكر فريد بك المحامي في كتابه "تاريخ الدولة العلية العثمانية" أن هناك عاملاً استراتيجياً مُهماً جعل العثمانيين يفكرون في الاستيلاء عليها؛ ألا وهو الأهمية الاستراتيجية الكبيرة لهذه الجزيرة والتي تقع بين إقليمي تونس وطرابلس وجنوب إيطاليا، حيث كان من الضروري أن تحتلها أي دولة تريد أن يكون لها اليد الطولى على البحر المتوسط (المحامي، 1981، صفحة 249)، كما يذكر المؤرخ الإنجليزي إدوارد كريسي Edward Creasy أن سليمان القانوني كان جد مهتم بالأهمية العسكرية والسياسية التي تمتلكها جزيرة مالطا، إذ لو كانت القوات العثمانية قد استقرت في السابق في مالطا فإنها كانت ستُستخدم كقاعدة للعمليات العسكرية البحرية في غرب البحر المتوسط والتي كانت ستنجح لا محالة. (كريسي، 2019، صفحة 182)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2: الاستعدادات العثمانية لفتح مالطا:

في سنة 1564م عقد سليمان القانوني مجلس شورى في مقر الخلافة باسطنبول حول اتخاذ قرار بشأن إرسال حملة عسكرية للاستيلاء على مالطا، وانتهى المجلس بالموافقة على القرار (كريسي، 2019، صفحة 182)، وفي شهر ديسمبر من نفس العام أرسل السلطان العثماني إلى جميع رؤساء البحرية في الأقاليم العثمانية بضرورة التأهب للمشاركة في هذه الحملة.(Haedo, 1881, p. 130)

في مارس 1565 م أعطى السلطان سليمان الإذن بخروج الأسطول الهمايوني لفتح مالطا، وكان السلطان العثماني قد جعل قيادة الحملة تحت كل من القبودان بياله باشا والسردار مصطفى باشا وقد جاء في كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" حول هذه الحملة:"..عندما رجع بياله باشا بالأسطول العثماني من حماية الشواطئ العثمانية في سنة 968هـ (1560م)، صدر له الأمر السلطاني بتجهيز السفن لحملة مالطا، وأصبح مصطفى باشا بن أحمد قائداً. واقتحم بياله باشا البحر بجنود من الأناضول والروميللي بمائة وخمسين قطعة سفينة مختلفة الأنواع من الأسطول السلطاني وذلك في وفي أواخر شعبان سنة 971هـ(الموافق لـجانفي 1565م)، وقاموا من ميناء آوارين في 14 شوال (الموافق لـ15ماي 1565م) واتجهوا نحو مالطة.." (خليفة، 2017، صفحة 144)، وقد كانت القوات العثمانية التي خصصت لهذه الحملة كبيرة جداً حيث كانت القوات التي خرجت من موانئ القسطنطينية وحدها باستثناء قوات الأقاليم العثمانية الأخرى تتكون من حوالي مائة وخمسن سفينة وما يقارب الخمسين ألف جندي، كما انضمت إلى هذه القوات في وقت لاحق وحدات مختارة من مصر وطرابلس والجزائر (إيفانوف، 1988، صفحة 237)، هذه الأخيرة التي بعث السلطان العثماني لحاكمها حسن بن خير الدين بخطاب سلطاني بتاريخ 25 جمادى الأول 972هـ/ أواخر جانفي 1565م جاء فيه:

"حُكم إلى حسن باشا أمير أمراء جزائر الغرب

..فقد تم تعيين الدستور المكرم وزيري مصطفى باشا قائدا بنية فتح قلعة مالطا الواقعة في ديار الغرب، وكما هو معروف منذ أمد بعيد بأن تلك الجزيرة هي بمثابة مقر للكفار أصابهم الدمار الذين لا يرتدعون عن قطع طريق الحجاج والتجار القاصدين مصر بحرا ملحقين بهم كل أنواع الخسائر، لذا فإن قلع وقمع تلك القلعة هو من أمر من واجبات الدين ومن مهمات دولتي الهمايونية.." (دفتري مهم 6، حكم 565،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

25جمادى الأولى972هـ) ونظرا لأهمية هذه الغزوة فقد طلب الباب العالي من حاكم الجزائر تجنيد مجموعة من الرياس والبحارة المتطوعين للمشـــاركة فيها كما تعهد الباب العالي بمكافأة هؤلاء المتطوعين وكل من يشارك في حملة مالطا رفقة القوات العثمانية حيث جاء في ذات الخطاب:"..أن تستميل وترغب الرؤساء المتطوعين في تلك الديار إلى غزوتي الشـريفة، وأن تعلن أن كل من يشـارك ويقدم خدماته سـيكون محط رعايتنا الملوكية..ولن يضيع أجر أحد منهم، وبناءً على ذلك فلتعلم الرؤساء بمقامي الشريف وأن تظهر كل أنواع اهتمامك وسعيك في سبيل الدين المتين.." (دفتري مهم 6، حكم 565، 25جمادى الأولى972هـ) ومن خلال اسـتعانة الباب العالي بالبحارة المتطوعين من العنصـر المحلي تتضـح لدينا جليا الأهمية الكبيرة لهذه الحملة ومن خلالها السعي الحثيث للاستيلاء على جزيرة مالطا.

وتأكيدا منه على ضـرورة التحاق الأسـطول الجزائري بالقوات العثمانية لحصـار مالطا قام الباب العالي بتوجيه خطاب آخر لحاكم الجزائر بتاريخ 3رمضـان 972هـــ/4 أفريل 1565م يخبره فيه بتوجه القوات العثمانية لحصار الجزيرة وطلب الالتحاق بها والمشاركة في فتح مالطا حيث جاء في هذا الخطاب:"..وينبغي عليك ألا تكون في غفلة من الأعداء الأذلاء وذلك عندما يكون أسـطولي السـلطاني بمحاصـرة القلعة المذكورة، وتبدل مسـاعيك في حفظ البقاع والقلاع الواقعة في السـواحل التابعة لولايتك، وفي تدمير وقهر الأسـطول المهزوم القادم من قبل الكفار لتقديم المسـاعدة، وبالاجمال في إلحاق الأضـرار والهزائم بالأعداء ومعاونة ومظاهرة العسـاكر المنصـورة القادمة مع أسـطولي السـلطاني." (دفتري مهم 6، حكم 972، 3رمضان972هـــ)، ومن أجل ألا تضطرب الأوضاع في إيالة الجزائر وأن يسودها الأمن والاستقرار خلال الحملة على مالطا وجه الباب العالي كذلك خطابا لأعيان الجزائر يخبرهم فيه بإعادة تنصـيب حسـن باشـا على إيالة الجزائر وبضـرورة الامتثال لأوامره جاء فيه:"..عند وصـول حكمي الشـريف الواجب الاتباع أن تتعاملوا بحسن القبول مع كلامه وبالشكل الذي يراه مناسبا فيما يتعلق بتنظيم وانتظام تلك الديار وضبطها وربطها لقمع أهل الفسـاد والعناد وإصـلاح البلاد، ولا تتجاوزوا أمره وكونوا في أتم الطاعة والانقياد.." (مهمة دفتري 6، حكم 973، 3رمضـان972هـ) حيث أن توافق سـاكنة الجزائر وكبرائها مع البايلرباي حسن باشا من الأمور غاية الأهمية التي يجب أن تُراعى خاصة في مثل هذه الظروف.

هذا؛ وقد كان الباب العالي قد أجل –لأهمية فتح مالطا– النظر في بعض القضـايا الأخرى كالتدخل في الصراع بين الأمراء السعديين في المغرب الأقصى، حيث جاء في إحدى الرسائل الموجهة لهم:"..إلى خلفي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأماجد والأكارم..الشيخ عبد المؤمن والشيخ عبد الملك..ورد إلى باب سعادتنا خطابكما المتضمن رجائكما بعناية اسطولنا الهمايوني..ولقد صدر أمري بإرسال الأسطول الهمايوني لمحاصرة بعض القلاع الواجب فتحها وضبطها من أجل تأمين رفاهية المسلمين في تلك الديار وخذل الكفار..كي يدفع ويرفع ضرر وفساد الكفار عن الجزائر وعن طريق مصر أيضا..ولا تغفلا عن مداراة شقيقكما..ريثما يتم أمر هذه الغزوة.." (مهمة دفتري6، حكم 971، 7رمضان 972 هـ) وهو ما يدل على أهمية الحملة على مالطا وضرورة التجند والتفرغ لفتح هذه الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الهام.

في المقابل، كان فرسان مالطا قد استعدوا لهذه الحملة بأن نقلوا الشيوخ والنساء إلى إيطاليا، كما زادوا من تحصينات الجزيرة وأنشأوا نظام اتصال بين حصون الجزيرة لصد الهجوم العثماني الوشيك. (Heers, 2008, p. 88)

3: الحصار العثماني لجزيرة مالطا (ماي– سبتمبر 1565م):

3–1–بداية الحصار:

في 18ماي 1565م وصلت القوات العثمانية إلى شواطئ مالطا و استقرت بمرسى السيروكو Marsasirocco قرب الجزيرة (Athénien, 1663, p. 648) ، ومنذ اللحظة الأولى انقسمت قيادة الحملة فيما إن كانت يجب أن تباشر الهجوم قبل وصول الدعم من إسبانيا والجنوب الإيطالي لفرسان مالطا، أم تنتظر وصول الدعم من طرغود ريس حاكم طرابلس وحاكم الجزائر حسن باشا(Heers, 2008, p. 88) ، غير أن السردار (قائد القوات البرية) مصطفى باشا قرر أن يباشر الهجوم على حصن سان إلمو San Elmo أحد حصون جزيرة مالطا الأربعة وقام بإنزال ثلاثة آلاف جندي إلى بر الجزيرة. (Rotalier, 1841, p. 196)

بعد عشرة أيام من القصف العثماني غير المجدي على حصون مالطا وصلت قوات مصر بقيادة علج علي قادمة من ميناء الإسكندرية مكونة من ست سفن تحمل ما يقارب ألف رجل (سحابات، 2016، صفحة 142)، وفي اليوم الموالي وصل طرغود ريس من طرابلس رفقة خمس عشرة سفينة وألف وأربعمائة جندي (Athénien, 1663, p. 651)، ومنذ اللحظة الأولى عارض طرغود ريس الهجوم العثماني على حصن سان إلمو مبرراً ذلك بأن الحصن هو الأقل أهمية عسكرية بين الحصون، إذ برر ذلك بأن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الحصن سيسقط طواعية بمجرد تمكن القوات العثمانية من الاستيلاء على الحصون الأخرى، غير أنه لم يشأ شق الصف داخل الحملة وواصل مع باقي القيادة قصف حصن سان إلمو. (Rotalier, 1841, p. 203)

كانت القوات المدافعة عن جزيرة مالطا تتكون من سبعمائة فارس وثمانية آلاف وخمسمائة جندي إضافة إلى بعض المرتزقة من الجنوب الإيطالي (كريسي، 2019، صفحة 183)، وقد وُفقت هذه القوات في الوقوف أمام هجمات العثمانيين والنجاح في الدفاع عن الجزيرة، وزاد من صعوبة القوات العثمانية في فتح الجزيرة مقتل طرغود باشا يوم 16 جوان أثناء هجومه على حصن سان إلمو، إذ أصابت رأسه شظية صخرية بقي جراءها يصارع الموت إلى أن توفي يوم 23 من نفس الشهر، وقد كان لوفاة طرغود باشا أثر جد سلبي على الحملة إذ أثارت القلق والاضطراب في صفوف القوات العثمانية. (روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، 1991، صفحة 203)

في 20 أوت عقد نائب ملك صقلية الدون غارسيا دوتوليدو (الطليطلي) Don Garcia de Tolledo مجلساً للتشاور حول إرسال الدعم لفرسان مالطا لمواجهة الحصار العثماني للجزيرة، وقرر المجلس إرسال ستين سفينة حربية و خمسة عشر ألف جندي رفقة ألف وخمسمائة متطوع بقيادة دون ألفارو دي ساندي Alvaro de Sande و أسكانيو دي لاكورنيا Ascanio de la Cornea وتشابين فيتللو Chapin Vitello لدعم فرسان مالطا، والتأم شمل هذه القوات في غضون خمسة عشر يوماً في ميناء صقلية ونزلت بجزيرة مالطا يوم 7 سبتمبر1565م. (Haedo, 1881, p. 130)

بعد وصول أنباء الدعم الإسباني لفرسان مالطا ومن أجل الحيلولة دون وصولها للجزيرة أرسل حسن بن خير الدين القائد علج علي على رأس ثمانين سفينة لمواجهة سفن الإسبان القادمة لدعم فرسان مالطا،غير أن الدعم الإسباني تمكن من الالتحاق بجزيرة مالطا وشكل رفقة قواتها صدا منيعا أمام الحصار العثماني الذي لم يعد يبدو مجديا، ورغم أن مصطفى باشا أمر بمواصلة الحصار خاصة بعدما علم أن قوات الدعم الإسباني ليست بالحجم الذي يكافئ القوات العثمانية (Rotalier, 1841, pp. 239,240)، إلا أن ذلك لم يمكن العثمانين من اقتحام الجزيرة التي استعصت عليهم في حصار دام قرابة الأربعة أشهر.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3-2: نتائج الحصار العثماني لمالطا:

انتهى الحصار العثماني بفشل فتح العثمانيين لجزيرة مالطا، إضافة إلى مقتل حوالي عشرين ألف جندي عثماني منهم ثمانية آلاف من القوات البحرية، أما فرسان مالطا والقوات الإسبانية فخسروا حوالي تسعة آلاف جندي وستمائة فارس (كريسي، 2019، صفحة 185)، أما قوات إيالة الجزائر فيذكر هايدوHaedo أنها تضررت بشكل كبير حيث قُتل حوالي نصف الجنود الذين ذهبوا للمشاركة في الحملة رغم نجاح حسن بن خير الدين في العودة بجميع سفنه الثماني والعشرين إلى ميناء الجزائر. (Haedo, 1881, p. 130)

كذلك؛ كان من نتائج فشل حصار مالطا أن تزايدت المخاوف العثمانية من احتمالية غزو فرسان مالطا بمعية الإسبان للإيالات المغاربية وخاصة طرابلس وتونس، وهو مانجده في الرسالة التي وجهها الباب العالي لبايرلباي الجزائر بتاريخ 23 جمادى الثانية 973هـ/ مارس1566م والتي جاء فيها:"..أن تبذل كل أسباب الإقدام والاهتمام في سبيل ضبط وحراسة البلاد..وأن تظل على صلة بأمير أمراء طرابلس الغرب علي حتى تكونوا يدا واحدة بشأن قلع وقمع ودفع ورفع أعداء الدين.." (دفتري مهم5، حكم 817، 23جمادى الثانية 973هـ)، ناهيك عن كون فشل الحصار العثماني في فتح مالطا قد أوجد للأوروبيون فرصة مواتية لاستعادة طرابلس وطرد العثمانيين منها فبدأوا بإرسال الجواسيس المسيحيين إلى المدينة يترقبون أخبارها وينقلونها إلى الأوربيين ، وهو ما تفطنت إليه الدولة العثمانية وقامت بمراسلة حاكم طرابلس بخصوص القضية في رسالة بتاريخ 9شوال 973هـ/10 ماي 1566م جاء فيها:".. يتناهى إلى الأسماع مجيء بعض العلوج والكفار إلى طرابلس متنكرين بزي المسلمين للتجسس على الأوضاع هناك وإخبار الأعداء عنها، وينشرون أفكارهم الفاسدة هناك، ونظرا لعدم جواز التغافل عن الأعداء أمرت: عند وصوله تكون على البصيرة بأتم وجه، وتحفظ المرافئ بالشكل اللازم وتحول دون وصول أحد من العلوج والفرنك إلى طرابلس، وتحفظ الولاية وتحرسها بحيث لا يبقى هناك أي احتمال لقيام الأعداء والعياذ بالله بنشر الفساد، لأنه عُلم بوجود بعض المنافقين في طرابلس، إذ يأتيهم الجواسيس ويتلقون منهم الأخبار ويبعثونها إلى الأعداء فكن على بصيرة." (بيات، 2010، صفحة 322) وهذا ما يدل على استمرار اهتمام الباب العالي بالأخطار الخارجية التي تهدد إيالاته المغاربية وحرصها التام على ضرورة الانتباه لهذه الأخطار وصدها والحيلولة دون نجاح أي غزوة أوروبية محتملة خصوصا طرابلس وتونس القريبتان من مالطا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خاتمة:

أخيرا، يمكننا أن نجمل القول فيما يخص التهديدات المالطية الإسبانية على كل من تونس وطرابلس وموقف الباب العالي منها في النقاط التالية:

-كانت سواحل كل من تونس و طرابلس تشكل أهمية جيوسياسية كبيرة بالنسبة للإسبان والمالطيين والعثمانيين على حد سواء.

-نظرا للقيمة الكبيرة لجزيرة جربة وكذا طرابلس فقد حاول المالطيون والإسبان استعادتهما من العثمانيين.

-لعبت جزيرة مالطا وجزر الجنوب الإيطالي دورا استراتيجيا كبيرا في الصراع العثماني الإسباني على طرابلس، وكذلك كان الحال بالنسبة لجزيرة جربة التونسية التي كان مصيرها مشتركا مع طرابلس.

-كان الاهتمام العثماني بطرابلس كبيرا جدا، لدرجة أن الباب العالي كان على علم بكل التحركات المالطية الإسبانية عليها وهو ما تجلى في مراسلات الباب العالي لحكام الإيالات المغاربية.

-لم يكتف العثمانيون بالموقف الدفاعي أمام التهديدات الإسبانية المالطية على تونس وطرابلس، حيث نظم الباب العالي حملة عسكرية كبرى على جزيرة مالطا لوقف تهديداتها عليهما، والتي رغم كونها لم تكلل بالنجاح إلا أنها عبرت بوضوح عن الموقف الحازم للدولة العثمانية في الدفاع عن إيالاتها المغاربية وفي قطع دابر كل المحاولات التي تهدد أمنها ومصالحها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الملاحق:

الملحق رقم 1: رسالة من الباب العالي إلى بايلرباي الجزائر حسن بن خير الدين حول ضرورة الانتباه لتحركات فرسان مالطا بتاريخ:15 شوال 966هـ/21جويلية 1559م[2]

[2] الأرشيف الوطني الجزائري، دفتري مهم 3، حكم 139، 15شوال 966هـ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الملحق رقم2: رسالة من الباب العالي إلى بايلرباي الجزائر حسن باشا تتضمن ثناءً ومدحاً بمناسبة مشاركة الأسطول الجزائري في حصار مالطا، وكذا الحث على ضرورة التنسيق مع حاكم طرابلس حول التهديدات المالطية الإسبانية المحتملة على كل من طرابلس وتونس بتاريخ:23 جمادى الثانية 973هـ/مارس 1566م[3]

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

مهمة دفتري رقم 5 صحيفة 13 حكم رقم 817

بتاريخ 973 / 6 / 23

كتب

أعطى إلى إبراهيم ملاي الرئيس شماع
في 13 رجب 973

حكم إلى أمير امراء جزائر الغرب .

لقد سبق اصلاء أمانة السعادة بمعاونتك وظاهريك بما نطقت
بمدن الجزائر إلى العساكر المنصورة المرسلة إلى جزيرة مالطة ولقد
اظهرت خصالك الحميدة وشهامتك وحميتك في ذلك كما هو معروف منك وماثل
منك .

وامرت
ان تبذل كل انواع الاقدام والاهتمام في سبيل ضبط وحراسة البلاد
وضبط وربط الرعية وان تحتفظ على ما كتب عليه من الكفاءة والنباهة الكاملة
في نفسك وكذلك ان يظل على علة بأمير امراء طرابلس الغرب على حتى
تكونوا يدا واحدة بشأن قلع وقمع ودفع ورفع اعداء الدين المبين وان
تغفلوا عن صيانة وحماية مرتزق شرف السلطنة وان تحافظ على تواريد اخبارك
وسعيك المعهود ايضا .

تعريب محمد داود التميمي

[3] الأرشيف الوطني الجزائري، دفتري مهم5، حكم 817، 23جمادى الثانية 973هـ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المراجع:

1-الوثائق الأرشيفية (الأرشيف الوطني الجزائري):

- دفتري مهم 3، حكم 139، 15شوال 966هـ
- دفتري مهم5، حكم 817، 23جمادى الثانية 973هـ
- دفتري مهم 6، حكم 565، 25جمادى الأولى972هـ
- دفتري مهم 6، حكم 971، 7رمضان 972 هـ
- دفتري مهم 6، حكم 972، 3رمضان972هـ
- دفتري مهم 6، حكم 973، 3رمضان972هـ

2-الكتب:

- بن اسماعيل عمر علي، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1966
- الأنصاري أحمد بك النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،د ط، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، د.ت
- إيفانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988
- الباروني عمر محمد، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس،د ط، مطبعة الماجي،طرابلس،1952
- بيات فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية النصف الأول من القرن10هـ/16م، تق، خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول،2010
- بالانديه جورج، الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة علي المصري، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،2007
- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة أحمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للتوزيع والنشر 2017
- روسي إيتوري، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة محمد التليسي، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس،1969
- روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة و تقديم خليفة محمد التلييسي، ط2، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر،1991
- ابن غلبون محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار(تاريخ طرابلس الغرب)، تحقيق الطاهر الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة 1934
- فكاير عبد القادر، الصراع الجزائري الإسباني، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016
- كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ط1، دار المعارف، الرباط، 1984
- كريسي إدوارد شيفرد، تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة سالم أحمد سالم، ط1، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة، 2019

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- كولز بول، العثمانيون في أوروبا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1993
- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت لبنان 1981
- منفروني كاميللو، إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة عمر محمد الباروني وصلاح الدين السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988
- Athénien Chalcondil, Histoire général des Turcs, Tr, Blaise de Vigenaire, Imprimerie et Librairie Ordinaire du Roy, T1, Paris, 1663
- De Rotalier.Ch, Histoire d'Alger et de La piraterie des Turcs dans La méditerrané, Paulin Libraire Editeur, T2, Paris, 1841
- Haedo F.D, Histoire des Rois d'Alger, Tr, H.D De Grammont, Imprimeur Libraire Éditeur, Alger, 1881
- Heers Jacque, Les Barbaresques (La course et la guerre en Méditerrané), Ed8, Perrin Editeur, Paris, 2008
- Maxange Defontin, Eudj'Ali, A. Pedone Editeur, Paris,1930

3–الدوريات:

- أوراعي أحمد، الأنثروبولوجيا والتاريخ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، مجلد3، عدد1، 2012
- سحابات زهيرة، البحرية الجزائرية ودورها في الحروب العثمانية، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تيارت، الجزائر، ع9، 2016
- عبيد مصطفى، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة فسنطينة، ع18، 2015
- الويشي عطية فتحي، العثمانيون بطرابلس الغرب جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة 1551–1912م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع35، 2017
- De La Primaudaie, Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574), R.A, V21, 1877